

الخطب المنبرية

العودة إليها مرة أخرى



مَنْقُولٌ مِنَ السَّجِيلِ الصَّوْتِيِّ لِلشَّيْخِ الدُّكْتُورِ
صَالِحِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمْدٍ العُصَيْمِيِّ
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِإِسْرَائِيلَ وَلِلْمُسْلِمِينَ



المُخْطَبَةُ الْأُولَى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا،
وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّهِ فَلَا هَادِيَ لَهُ،
وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۖ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل

عمران].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا

كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۗ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۗ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ

لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب].

أَمَّا بَعْدُ:

فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وأحسنَ الهدى هدىُّ محمدٍ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشرُّ الأمورِ محدثاتها، وكلُّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ.

أيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ! اتَّقُوا رَبَّكُمْ، وَاتَّبِعُوا نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالزَّمُوا جَمَاعَةَ

المسلمين؛ فإنَّ يدَ اللهِ مع الجماعة.

إِنَّ مِنَ الأَسْمَاءِ الَّتِي يَكْثُرُ دَوْرَانُهَا فِي كَلَامِ النَّاسِ: كَلِمَةُ (العُودَةِ)، وَتَتَعَلَّقُ بِهَا أُنْحَاءٌ مُخْتَلِفَةٌ؛ مِنْ جَمَلَتِهَا: مَا يَتَرَدَّدُ كَثِيرًا عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ وَيَقْرَعُ أَسْمَاعَهُمْ هَذِهِ الأَيَّامَ؛ وَهُوَ (العُودَةُ إِلَى المَدَارِسِ)؛ مِمَّا يَسْتَنْطِقُ البَصِيرَ لِيُلْهِمَهُ الإِشَادَةَ بِأَصُولٍ عَظِيمَةٍ يَنْبَغِي أَنْ يَسْتَحْضِرَهَا النَّاسُ وَهُمْ يَتَنَادَوْنَ إِلَى العُودَةِ إِلَى المَدَارِسِ.

مِنْهَا: الإِغْلَانُ بِأَنَّ أَعْظَمَ المَطَالِبِ فِي التَّعْلِيمِ هُوَ مَعْرِفَةُ العَبْدِ بِوَضِيفَتِهِ الَّتِي خَلَقَهُ اللهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لَهَا.

فَلَا يَتَعَلَّمُ الإِنْسَانُ لِيَنَالَ وَضِيفَةً فِي الدُّنْيَا فَقَطْ؛ كَلَّا، بَلْ يَتَعَلَّمُ لِمَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ؛ وَهُوَ مَعْرِفَتُهُ بِالْوَضِيفَةِ الَّتِي خَلَقَهُ اللهُ لِأَجْلِهَا؛ وَهِيَ عِبَادَتُهُ **عَزَّ وَجَلَّ**.

قَالَ اللهُ **تَعَالَى**: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ [الذَّارِيَاتِ].

فَحَجَرُ الأَسَاسِ، وَالمُقَدَّمُ فِي التَّعْلِيمِ هُوَ مَعْرِفَةُ عِبَادَةِ اللهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**؛ فَلِأَجْلِهَا خَلَقْنَا اللهُ، وَبِالْجِزَاءِ عَلَيْهَا وَعِدُّ وَتَوَعُّدٌ؛ فَالنَّاسُ فِيهَا مُؤْمِنُونَ أَبْرَارٌ، أَوْ كُفْرَةٌ فُجَّارٌ، وَوَرَاءَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ جَنَّةٌ أَوْ نَارٌ.

فِيَنْبَغِي أَنْ نَعْلَمَ جَمِيعًا أَنَّ المُقَدَّمُ عَلَيْنَا فِي التَّعْلِيمِ هُوَ مَعْرِفَةُ الدِّينِ الَّذِي جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

وَمِنْ هُنَا كَانَتِ العُلُومُ الشَّرْعِيَّةُ بِالمَقَامِ الأَسْمَى وَالرُّتْبَةِ الأَعْلَى فِي

المسلمين، فهم يُقدِّمونها لأنها تُعرِّفهم بالعبادة التي تجب عليهم، وما وراء ذلك من مصالحهم في العاجل والآجل فهي تابعة لذلك.

فينبغي أن يُلقن أحدنا أبناءه أن المهمة العظيمة في تعلُّمهم هي معرفة الأمر

الذي خُلقوا لأجله؛ وهو عبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فلا تُمثِّل المقررات الشرعيَّة ترفاً أو موادَّ زائدة عن حاجة المتعلِّمين، كلاً؛

بل حاجتهم إليها أعظم من كلِّ حاجة؛ فسعادتهم وشقاوتهم، وفوزهم وخسارتهم موقوفة على هذه العلوم.

وأعظم محاضنها هي المدارس التَّعليميَّة، فإذا أمكن المرء أن يُحصِّلها

منها ومن غيرها - كالمساجد، وحلق العلم فيها - فذلك خير، وإن اقتصر

على المدرسة فينبغي أن يعلم أنَّ المقدم في تعلُّمه العلم الذي يدلُّه على ما

خُلق لأجله؛ وهو عبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فأيُّ منفعة يجنيها من يتأثَّل درجة علميَّة عالية في طبٍّ أو هندسةٍ أو فيزياءٍ

أو كيمياء، وهو لا يعرف ما يجب عليه من العبادة؟! فلا يُقيم حقَّ الله في صلاته

ولا زكاته ولا صيامه ولا حجَّه، ولا إحسانه للخلق وبرَّه والديه وصلته

أرحامه.

فينبغي أن يعلم العائدون إلى المدارس - أبناء وبنات، آباء وأمّهات - أنَّ

المقدم في العودة إلى المدارس تذكيراً هو الإعلان بأنَّ المقصود من التَّعليم

أولاً هو معرفتنا بكيفية إقامة عبادة الله وفق الدين الذي بُعث به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومن جملة ما يُذكر به: أن يعلموا جميعاً - معلّمين ومتعلّمين، آباءً وأبناءً، وبناتٍ وأمّهاتٍ - أن مَنْ أراد سلوك هذا الأمر فينبغي أن يأخذه بهمة عالية، وعزيمة جازمة؛ إذ لا تُحصّل هذه المطالب إلا بمثل ذلك.

وقد قال الله **عَزَّوَجَلَّ** لنبيه يحيى **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: ﴿يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢].

وقال الله **عَزَّوَجَلَّ** لبني إسرائيل - في غير مقامٍ -: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة: ٦٣].

والأخذ بقوة في التعلّم للأبناء والبنات هو تفرّغهم لذلك، وحملهم عليه، وحثهم على ما ينفعهم فيه؛ فيفترغون لأجله، ويلاحظون بالعبارة به؛ فإنهم بذلك يكونون آخذين له بقوة؛ لينتفعوا في دينهم ودنياهم وآخرتهم؛ فيحرسوا بذلك قصب السبق.

أمّا ما آلت إليه أحوال الناس من التساهل في ذلك حتى صار التعليم فتاتاً من الملخّصات! فهذا يرجع على أبنائنا وبناتنا بالضعف الشديد، والتفريط الأكيد فيما ينفعهم، ثمّ يجرّهم لما هو أزدل من ذلك من محاولات الغشّ والتّمرّس فيه واستمراءه، حتى صارت عادةً شائعة!



بل صار في بعض البلاد الآباء والأمهات يُشجِّعون أبناءهم وبناتهم على ارتكاب الغش في الامتحانات! وينسون قول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»^(١).

وهم لا يغشون غيرهم؛ بل يغشون أنفسهم أولًا؛ فهم يفتقدون حقيقة التعليم التي تقرَّبهم إلى منافعهم في الدنيا والآخرة.

فيا معشر الآباء والأمهات، والأبناء والبنات، والمعلمين والمعلمات؛ احرصوا على أن تأخذوا هذا الأمر بجدٍّ وحزم، وأن تعزموا لتغنموا.

ومن جملة ما يُذكر به: أن يعلم الإنسان أن التعليم الذي يُنفق فيه أحدنا

وقتًا كثيرًا هو من جملة ما يتعلَّق برعاية الذرِّيَّة التي استأمن الله **عَزَّوَجَلَّ** فيها الآباء والأمهات على الأبناء والبنات.

وقد قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»، ثم

قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا، وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا»^(٢).

فالقيام على الأبناء والبنات في العودة إلى المدارس بحملهم على ما

ينفعهم في دينهم ودنياهم هو من جملة القيام بهذه الأمانة.

(١) أخرجه مسلمٌ (١٠١) من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

(٢) أخرجه البخاريُّ (٨٩٣) ومسلمٌ (١٨٢٩)، من حديث عبد الله بن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**.

وقد قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التَّحْرِيم: ٦].

فأدُّوا - أيُّها المؤمنون والمؤمنات - الأمانة التي استرعاكم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عليها، واحذروا أن تخونوا أمانة الله في أبنائكم وبناتكم.

وإنَّ ممَّا يراه المرء من خيانة تلك الأمانة: أن تجد الأب والأم يُفَرِّطان في إيقاظ أبنائهما لصلاة الفجر، ثم يتسارعان عند قُرب وقت الدِّراسة ليُوقظوهم! وهذه خيانةٌ عظيمةٌ؛ سيرون وبالها، ويجدون عاقبتها في الدنيا والآخرة.

وقد أعذر الله إلينا بإنذارنا؛ إذ قال: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التَّحْرِيم: ٦].

فإذا كان وليُّ الأمر يُفَرِّط في وقايتهم منها؛ بل يقربهم من الوقوع فيها؛ فأبي خيانةٍ أعظمٍ من هذه الخيانة لهذه الأمانة العظيمة؟!!

أقول ما تسمعون، وأستغفرُ الله العليَّ العظيم لي ولكم، فاستغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرَّحِيم.



المُخْطَبَةُ الثَّانِيَةُ

الحمد لله ربّ العالمين، ربّ السَّمَاوَاتِ وَرَبّ الأَرْضِ ربّ العرش العظيم،
وأشهد ألاّ إله إلاّ الله فلا معبودَ حقٌّ سِوَاهُ، وأشهد أنّ مُحَمَّدًا عبده ورسوله
ومصطفاه.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى
آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مُجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا
بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مُجِيدٌ.

أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ!

عندما يتردّد اسم (العودة إلى المدارس)، وَيَسْتَذَكِرُ النَّاسُ أَصُولًا مُهِمَّةً
- مِنْ جَمَلَتِهَا مَا ذَكَرْنَا آنفًا -؛ يَنْبَغِي أَنْ تَرْتَفِعَ أَبْصَارُهُمْ، وَتَتَعَلَّقَ قُلُوبُهُمْ بِعُودَةِ
أَعْظَمَ، لَيْسَتْ هِيَ الْعُودَةُ إِلَى الْحَيَاةِ، أَوْ الْعُودَةُ إِلَى الْوَطَنِ، أَوْ الْعُودَةُ إِلَى
الأَرْضِ؛ كَلَّا، وَلَكِنَّهَا الْعُودَةُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ الَّتِي سَمَّاها اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ
(توبةً)، وَجَعَلَهَا وَظِيفَةً دَائِمَةً فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ؛ فَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَتُوبُوا
إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا

الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ
وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا
مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ [التحریم: ٨].

وكان النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يكرّر التّوبة في اليوم والليلة أكثر من مائة مرّة؛
فقال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ؛ تُوْبُوا إِلَى اللَّهِ، فَإِنِّي أَتُوْبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ
مِائَةً مَّرَّةً»^(١).

فإذا كانت هذه حال الطّاهر المُطهّر **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** الذي غفر الله له ما تقدّم
من ذنبه وما تأخّر؛ فحقيق بنا - ونحن نستذكر العودة إلى المدارس - أن
نستذكر العودة إلى الله بالتّوبة؛ فنقلع عن ذنوبنا، ونندم على ما اقترفنا، ونعزم
على عدم العودة إلى شيءٍ منها؛ فإنّا بذلك نكون من التّائبين.

وينبغي أن نلازم هذه الوظيفة في كلّ يومٍ وليلةٍ؛ فما من أحدٍ إلا وهو
محتاجٌ إلى التّوبة:

- فإمّا أن يكون قصّر في حسناتٍ؛ فيتوب إلى الله من تركها.
 - وإمّا أن يكون وقع في سيئاتٍ؛ فيتوب إلى الله من اقترافها.
- فتوبوا إلى الله جميعاً - أيّها المؤمنون - لعلكم تفلحون.

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠٢) من حديث عبد الله بن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**.

اللَّهُمَّ آتْ نَفُوسَنَا تَقْوَاهَا، وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا.
اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى، وَالتَّقَى، وَالْعِفَافَ، وَالْغِنَى.
اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكْرَهُ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ
وَالْعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الرَّاشِدِينَ.
اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُودُ بِكَ مِنْ شَرِّ الْأَشْرَارِ، وَكَيْدِ الْفَجَّارِ.
اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُودُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ، وَنَدْرَأُ بِكَ فِي نَحُورِهِمْ.
اللَّهُمَّ فَرِّجْ كُرْبَ الْمَكْرُوبِينَ، وَنَفْسَ هَمُومِ الْمَهْمُومِينَ، وَاقْضِ الدَّيْنَ عَنِ
الْمَدِينِينَ، وَاشْفِ مَرْضَانَا وَمَرْضَانَا وَمَرْضَى الْمُسْلِمِينَ.
اللَّهُمَّ وَفِّقْ وَلِيَّ أَمْرِنَا بِتَوْفِيقِكَ، وَأَيِّدْهُ بِتَأْيِيدِكَ، وَارْزُقْهُ الْبَطَانَةَ النَّاصِحَةَ
الصَّالِحَةَ، وَجَنِّبْهُ بَطَانَةَ السُّوءِ.

